

أعلام النبوة

الباب العشرون - في شرفه أخلاقه و كمال فضائله صلى الله عليه و تعالى عليه و سلم .

فضائل محمد صلى الله عليه و سلم ثابتة قبل النبوة : .

المهياً لأشرف الأخلاق و أجمل الأفعال المؤهل لأعلى المنازل و أفضل الأعمال لأنها أصول تقود إلى ما ناسبها و وافقها و تنفرد مما باينها و خالفها و لا منزلة في العالم أعلى من النبوة التي هي سفارة بين الله تعالى و عباده تبعث على مصالح الخلق و طاعة الخلق فكان أفضل الخلق بها أخص و أكملهم بشروطها أحق بها و أتمس .

و لم يكن في عصر الرسول و ما داني طرفيه من قاربه في فضله و لا دانا في كماله خلقا و خلقا وقولا و فعلا و بذلك و صفه الله تعالى في كتابه بقوله : { وإنك لعلی خلق عظیم } . فإن قيل : فليست فضائله دليلاً على نبوته و لم يسمع بنبي احتج بها على أمته و لا عول عليها في قبول رسالته لأنه قد يشارك فيها حتى يأتي بمعجز يخرق العادة فيعلم المعجز أنه نبي لا بالفضل .

قيل : الفضل من أماراتها و إن لم يكن من معجزاتها و لأن تكامل الفضل معوز فصار كالمعجز و لأن من كمال الفضل اجتناب الكذب و ليس من كذب في ادعاء النبوة بكامل الفضل فصار كمال الفضل موجبا للصدق و الصدق موجبا لقبول القول فجاز أن يكون من دلائل الرسل . كمال خلق النبي صلى الله عليه و سلم : .

فإذا وضح هذا فالكمال المعتبر في البشر يكون من أربعة أوجه : .

أحدها : كمال الخلق و الثاني : كمال الخلق و الثالث : فضائل الأقوال و الرابع : فضائل الأعمال .

فأما الوجه الأول في كمال خلقه بعد اعتدال صورته فيكون بأربعة أوصاف : .

أحدها : السكينة الباعث على الهيبة و التعظيم الداعية إلى التقديم و التسليم و كان أعظم مهيب في النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيبتة حين أتوه مع ارتياضهم بصولة الأكاسرة و مكاثرة الملوك الجابرة فكان في نفوسهم أهيب و في أعينهم أعظم و إن لم يتعاطم بأهبة و لم يتناول بسطوة بل كان بالتواضع موصوفاً و بالوطاء معروفاً .

و الثاني : الطلاقة الموجبة للإخلاص و المحبة الباعثة على المصافاة و المودة و قد كان محبوباً و لقد استحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يقله مصاحب و لم يتباعد منه مقارب و كان أحب إلى أصحابه من الآباء و الأبناء و شرب البارد على الطمأ .

و الثالث : حسن القبول الجالب لمماثلة القلوب حتى تسرع إلى طاعته و تدعن بموافقته و

قد كان قبول منظره مستوليا على القلوب و لذلك استحکمت مصاحبته في النفوس حتى لم ينفر منه معاند و لا استوحش منه مباعد إلا من ساقه الحسد إلى شقوته و قاده الحرمان إلى مخالفته .

و الرابع : ميل النفوس إلى متابعتها و انقيادها لموافقتها و ثباته على شدائده و مصابرته فما شذ عنه معها من أخلص و لا ند عنه فيها من تخصص .

و هذه الأربعة من دواعي السعادة و قوانين الرسالة و قد تكاملت فيه فكمل لما يوارىها و استحق ما يقتضيها .

كمال أخلاق النبي صلى الله عليه و سلم :

و أما الوجه الثاني في كمال أخلاقه فيكون بست خصال :

إحداهن راحة عقله و صحة وهمه و صدق فراسته و قد دل على وفور ذلك فيه صحة رأيه و صواب تدبيره و حسن تألفه و أنه ما استفعل في مكيدة و لا استعجز في شديدة بل كان يلحظ الإعجاز في المبادي فيكشف عيوبها و يحل خطوبها و هذا لا ينتظم إلا بأصدق وهم و أوضح جزم . ثباته في الشدائد عليه السلام :

و الخصلة الثانية ثباته في الشدائد و هو مطلوب و صبره على البأساء و الضراء و هو مكروب و محروب و نفسه في اختلاف الأحوال ساكنة لا يجوز في شديدة و لا يستكين لعظيمة أو كبيرة و يقدر على الخلاص و هو بالشر لا يزداد إلا اشتدادا و صبرا و قد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي و يهد الصياصي و هو من الضعف يصابر صبر المستعلي و يثبت ثبات المستولي .

و روى حماد بن سلمة [عن ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه و تعالى قال : لقد أخفت في الله و ما يخاف أحد و لقد أوديت في الله و ما يؤذي أحد و لقد أتت علي ثلاثون من بين يوم و ليلة و مالي و لبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال] .

و روى عبد الرحمن بن زيد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : ما شيع آل محمد من الشعر يومين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه و تعالى عليه و سلم .

و من صبر على هذه الشدائد في الدعاء إلى الله تعالى امتنع أن يريد به الدنيا و قد زويت عنه و ما ذاك إلا لطلب الآخرة و مستحيل ممن كذب في ادعائه إليها أن يستوحشها أو كذب على الله تعالى أن يثاب بها .

زهده في الدنيا عليه السلام :

و الخصلة الثالثة زهده في الدنيا و إعراضه عنها و قناعته بالبلاغ منها فلم يمل إلى نضارتها و لم يله لحلاوتها .

و روى سفيان الثوري [عن حبيب بن أبي ثابت عن خيثمة بن عبد الرحمن قال : قيل لرسول

ﷺ صلى الله عليه وسلم إن شئت أعطيت خزائن الأرض ما لم يعط أحد قبلك و لا يعطاه أحد بعدك و لا ينقضك في الآخرة شيئا قال : اجمعوها لي في الآخرة فنزلت : { تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا } [.

و روى هلال بن أبي خباب [عن عكرمة عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو على حصير قد أثر في جسمه فقال له : يا رسول الله لو اتخذت فراشا أو طأ من هذا فقال : ما لي و للدنيا و الذي نفسي بيده ما مثلي و مثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح و تركها [.

و روى حميد بن بلال بن أبي بردة قال : أخرجت إلينا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبدا و إزارا غليظا و قالت : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين .

هذا و قد ملك من أقصى الحجاز إلى عذار العراق و من أقصى اليمن إلى شجر عمان و هو أزهد الناس فيما يقتني و يدخر و أعراضهم عما يستفاد و يحتكر لم يخلف عينا و لا دينا و لا حفر نهرا و لا شد قصرا و لم يورث ولده و أهله متاعا و لا مالا ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا على مثل حاله في الزهد فيها .

و روى أبو سلمة [عن أبي هريرة قال : جاءت فاطمة عليها السلام الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه تريد الميراث فمنعها فقالت : من يرثك ؟ قال : ولدي و أهلي فقالت : فلا ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنته ؟ فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنا لا نورث ما تركنا فهو صدقة فمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله فأنا عوله و من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق عليه فأنا أنفق عليه [.

و حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزهد في الدنيا و الإعراض عن التلبس بها ليكون عوناً على السلامة من تبعاتها و صرف النفوس عن شهواتها .

و روى عبد المطلب بن حاطب [عن أبي موسى الأشعري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أحب دنياه أضر بآخرته فأثروا ما يبقى على ما يفنى [.

وروى [عن الحسن بن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حب الدنيا رأس كل خطيئة [.

و روى أبو حكيم [عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت و ماروت [.

و روى عمرو بن مرة [عن أبي جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود و هو يسعى لدار الغرور [.

و روى عوف [عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه و تعالى عليه و سلم إنما مثل الدنيا كمثل الماشي على الماء هل يستطيع الذي يمشي على الماء أن لا تبتل قدماه ؟ !] .
و هذه الدواعي و الوصايا ما اقتدى به خلفاؤه في زهده و انتقلوا بالأمور من بعده .
فكان أبو بكر رضوان الله عليه يتخلل عبادة له و هو خليفة فسمي : ذا الخلالين .
و كان عمر رضي الله تعالى عنه يلبس مرقعة من صوف فيها رقاع من آدم و يطوف في الأسواق على عاتقه درة يؤدب بها الناس و يمر بالنوى فيلقطه و يلقيه في منازل الناس حتى ينتفعوا به و يطوف وحده في الليل عسا و يتطلع غوامض الأمور تجسسا ليأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر .

و كان عثمان رضي الله تعالى عنه يقوم الليل كله يختم القرآن في ركعة و جاد بماله و فدى الخلق بنفسه و قال : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد و أشرب كما يشرب العبد .
و اشترى علي رضي الله تعالى عنه و هو خليفة قميصا بثلاثة دراهم و قطع كفه من موضع الرسغين و قال : الحمد لله الذي هذا من رياشه و لم يزل يأكل الخشن و يلبس الخشن و فرق الأموال حتى رش بيت المال و نام فيه و قال : يا صفراء يا بيضاء غري غيري .
و حقيق بمن كان في الدنيا بهذه الزهادة حتى اجتذب أصحابه إليها أن لا يتهم بطلبها و يكذب على الله تعالى في ادعاء الآخرة بها و يقنع في العاجل و قد سلب الآجر بالميسور النزر و رضي بالعيش الكدر .

و قد روى الزهري [عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه و تعالى عليه و سلم يقول في شهر رمضان : قدمي غداك المبارك و قالت : ربما لم يكن إلا تمرتين] .

و روى عبد الله بن مسلمة [عن مالك بن أنس أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه و تعالى عليه و سلم دخل المسجد فوجد أبا بكر و عمر رضي الله تعالى عنهما فسألهما فقال : ما أخرجكما فقالا : أخرجنا الجوع فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و أنا أخرجني الجوع فذهبوا إلى أبي الهيثم بن التيهان فأمر له بحنطة أو شعير عنده يعمل و قام فذبح لهم شاة فقال له نكب عن ذات الدر و استعذب لهم ماء علق على نخلة ثم أوتوا بذلك الطعام فأكلوا منه و شربوا من ذلك الماء فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لتسألن عن نعيم هذا اليوم ثم ملكوا الدنيا فرفضوها و اقتنعوا بالبلاغة فيها] .
تواضعه عليه السلام :

و الخصلة الرابعة تواضعه للناس و هم اتباع و خفض جناحه لهم و هو مطاع يمشي في الأسواق و يجلس على التراب و يمتزج بأصحابه و جلسائه فلا يتميز عنهم إلا بإطراقه و حيائه : فصار بالتواضع متميزا و بالتذلل متعززا و لقد دخل عليه بعض الأعراب فارتاع من هيئته فقال خفف

عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة و هذا من شرف أخلاقه و كريم شيمه فهي غريزة فطر عليها و جبلة طبع بها و لم تندر فتعد و لم تحصر فتحد .
حلمه و وقاره عليه السلام :

و الخصلة الخامسة حلمه و وقاره عن طيش يهزه أو خرق يستفزه فقد كان أحلم في النفار من كل حليم و أسلم في الخصام من كل سليم و قد مني بجفوة الأعراب فلم يوجد منه نادرة و لم يحفز عليه بادرة و لا حليم غيره إلا ذو عسرة و لا وقور سواه إلا ذو هفوة فإن الله تعالى عصمه من نزع الهوى و طيش القدرة بهفوة أو عثرة ليكون بأتمه رؤوفاً و على الخلق عطوفاً قد تناولته قريش بكل كبيرة و قصدته بكل جريرة و هو صبور عليهم و معرض عنهم و ما تفرد بذلك سفهاؤهم دون حلمائهم و لا أرادلهم دون عظمائهم بل تمالأ عليه الجلة و الدون فكلما كانوا عليه من الأمر و ألح كان عنهم أعرض و أفصح حت قهر فعفاً و قدر فغفر و قال لهم حين طفر بهم عام الفتح و قد اجتمعوا إليه : ما طنكم بي ؟ قالوا : ابن عم كريم فإن تعف فذاك الظن بك و إن تنتقم فقد أسأنا فقال : بل أقول كما قال يوسف لأخوته { لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين } قال صلى الله عليه و سلم : [اللهم قد أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا] .

و أته هند بنت عتبة و قد بقرت بطن عمه حمزة و لاكت كبده فصطح عنها و أعطاها يده لبيعته .

فإن قيل : فقد ضرب رقاب بني قريظة صبرا في يوم أحد و هم نحو سبعمئة فأين موضع العفو و الصفح ؟ و قد انتقم انتقام من لم يعطفه عليهم رحمة و لا داخلته لهم رقة .
قيل إنما فعل ذلك في حقوق الله تعالى و قد كانت بني قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم أن من جرت عليه الموصى قتل و من لم تجر عليه استرق فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم هذا حكم الله من فوق سبعة أرقعة فلم يجز أن يعفو عن حق و جب الله تعالى عليهم و إنما يختص عفوه بحق نفسه .
حفظه عليه السلام للعهد :

و الخصلة السادسة حفظه للعهد و وفاؤه بالوعد فإنه ما نقض لمحافظ عهدا و لا أخلف لمراقب وعدا يرى الغدر من كبار الذنوب و الإخلاف من مساوئ الشيم فيلتزم فيها الأغلظ و يرتكب فيهما الأصعب حفظا لعهد و وفاء بوعده حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه فيجعل الله تعالى له مخرجا كفعل اليهود من بني قريظة و بني النضير و كفعل قريش بصلح الحديبية فجعل الله تعالى له في نكثهم الخيرة فهذه ست خصال تكاملت في خلقه فضله الله تعالى بها على جميع خلقه .
فضائل أقوال النبي عليه السلام :

و أما الوجه الثالث في فضائل أقواله فمعتبر بثماني خصال :

إحداهن ما أتى من الحكمة البالغة و أعطي من العلوم الجمة الباهرة و هو أُمي من أمة
أمية لم يقرأ كتابا و لا درس علما و لا صحب عالما و لا معلما فأتى بما بهر العقول و أذهل
الفتن من اتقان ما أبان و إحكام ما أظهر فلم يعثر فيه بزل في قول أو عمل و جعل مدار
شرعه على أربعة أحاديث أوجز بها المراد و أحكم بها الاجتهاد .

أحدها : قوله : [إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى] .
و الثاني قوله : [الحلال بين و الحرام بين و بين ذلك أمور مشتهيات و من يحم حول الحمى
يوشك أن يقع فيه] .

و الثالث قوله : [من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه] .

و الرابع قوله : [دع ما يريبك إلى ما لا يريبك] .

و قد شرع من تقدم من حكماء الفلاسفة سننا حملوا الناس على التدين بها حين علموا أنه لا
صلاح للعالم إلا بدين ينقادون له و يعملون به فما راق لها أثر و لا فاق لها خبر و هم
ينبوع الحكم و أعيان الأمم و ما هذه الفطرة في الرسول إلا من صفاء جوهره و خلوص مخبره .
و الخصلة الثانية حفظه لما أطلعه الله تعالى عليه من قصص الأنبياء مع الأمم و أخبار
العالم في الزمن الأقدم حتى لم يعزب عنه منها قليل و لا كثير و هو لا يضبطها بكتاب يدرسه
و لا يحفظها بعين تحرسه و ما ذاك إلا من ذهن صحيح و صدر فسيح و قلب شريح و هذه الثلاثة
آلة ما استودع من الرسالة و حمل من أعباء النبوة فجدير أن يكون بها مبعوثا و على
القيام بها محثوثا .

و الخصلة الثالثة إحكامه لما شرع بأظهر دليل و بيانه بأوضح تعليل حتى لم يخرج منه ما
يوجبه معقول و لا دخل فيه ما تدفعه العقول و لذلك قال صلى الله عليه و سلم : .
[أوتيت جوامع الكلم و اختصرت لي الحكمة اختصارا] لأنه نبه بالقليل على الكثير فكف عن
الإطالة و كشف عن الجهالة و ما تيسر ذلك إلا و هو عليه معان و إليه مفاد .

و الخصلة الرابعة ما أمر به من محاسن الأخلاق و دعا إليه من مستحسن الأدب و حث عليه من
صلة الأرحام و ندب إليه من التعطف على الضعفاء و الأيتام ثم ما نهى عنه من التباغض و
التحاسد و كف عنه من التباعد فقال : [لا تقاتعوا و لا تدابروا و لا تباغضوا و كونوا عباد
الله إخوانا] لتكون الفضائل فيهم أكثر و محاسن الأخلاق بينهم أنشر و مستحسن الآداب عليهم
أظهر و تكون إلى الخير أسرع و من الشر أمتع فيتحقق فيهم قول الله تعالى : { كنتم خير أمة
أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر } فلزموا أوامره و اتقوا زواجره فتكامل
بهم صلاح دينهم و دنياهم حتى عز بهم الإسلام بعد ضعفه و ذل بهم الشرك بعد عزه فصاروا أئمة
أبرارا و قادة أخيارا .

و الخصلة الخامسة وضوح جوابه إذا سئل و ظهور حجاجه إذا جودل لا يحصره عي و لا يقطعه عجز

و لا يعارضه خصم في جدال إلا كان جوابه أوضح و حاجه أرجح أتاه أبي بن خلف بعظم نحر من المقابر قد صار رميما ففركه حتى صار كالرماد ثم قال : يا محمد أنت تزعم أنا و آباءنا نعود إذا صرنا هكذا لقد قلت قولاً عظيماً ما سمعناه من غيرك { من يحيي العظام وهي رميم } فأنطق الله تعالى رسوله صلى الله عليه و سلم ببرهان نبوته فقال : { يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم } فانصرف مبهوراً و لم يجر جواباً و لما قال عليه الصلاة و السلام [لا عدوى و لا طيرة] قال له رجل يا رسول الله إنا نرى النقبة من الجرب في مشفر البعير فيعدو سائره قال : فمن أعدى الأول ؟ و أسكته [.

و الخصلة السادسة أنه محفوظ اللسان من تحريف في قول و استرسال في خبر يكون إلى الكذب منسوباً و للصدق مجاناً فإنه لم يزل مشهوراً بالصدق في خبره فاشياً و كثيراً حتى صار بالصدق مرقوماً و بالأمانة مرسوماً .

و كانت قريش بأسرها تتيقن صدقه قبل الإسلام فجهروا بتكذيبه في استدعائهم إليه فمنهم من كذبه حسداً و منهم من كذبه عناداً و منهم من كذبه استبعاداً أن يكون نبياً أو رسولاً و لو حفظوا عليه كذبه نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرسالة و من لزم الصدق في صغره كان له في الكبر ألزم و من عصم منه في حق نفسه كان في حقوق الله تعالى أعصم و حسبك بهذا دفعا لجاحد وردا لمعانداً .

و الخصلة السابعة تحرير كلامه في التوخي به إبان حاجته و الاقتصار منه على قدر كفايته فلا يسترسل فيه هذراً و لا يحجم عنه حصراً و هو فيما عدا حالتي الحاجة و الكفاية أجمل الناس صمتاً و أحسنهم سمناً و لذلك حفظ كلامه حتى لم يختل و ظهر رونقه حتى لم يعتل و استعذبت الأفواه حتى بقي محفوظاً في القلوب مدوناً في الكتب فلن يسلم الإكثار من ذلك و لا الهذر من ملل .

أكثر أعرابي عنده الكلام فقال : يا أعرابي كم دون لسانك من حجاب ؟ قال شفتاي و أسنني فقال صلى الله عليه و سلم : [إن الله يكره الانبعاث في الكلام فنصر الله] و جه امرء قصر من لسانه و اقتصر على حاجته [.

و الخصلة الثامنة أنه أفصح الناس لساناً و أوضحهم بياناً و أوجزهم كلاماً و أجزلهم ألفاظاً و أصحهم معاني لا يظهر فيه هجنة التكلف و لا يتخلف فيهِقة التعسف و قال صلى الله عليه و سلم : [أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون و قال : إياك و التشاؤق و لما نزل عليه قوله تعالى : { في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه } بنى مساجد قباء فحضر عبد الله بن رواحة فقال : يا رسول الله قد أفلح من بنى المساجد قال : نعم يا ابن رواحة قال : و لم يبت إلا ساجداً قال : يا ابن رواحة كف عن السجع] فما أعطي شيئاً شراً من طلاقة في لسانه .

من جوامع كلام النبي عليه السلام الموجز : .

فمن كلامه الذي لا يشاكل في إيجازه قوله صلى الله عليه وسلم : [الناس بزمانهم أشبه] و قوله [ماهلك امرؤ عرف قدره] و قوله : [لو تكاشفتهم ما تدافنتهم] و قوله : [السعيد من وعظ بغيره] وقوله : [حبك للشيء يعمي و يصم] و قوله : [العقل ألوف مألوف] و قوله : [العدة عطية] و قوله : [اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع] و قوله : [أفضل الصدقة جهد المقل] و قوله : [اليد العليا خير من اليد السفلى] و قوله [ترك الشر صدقة] و قوله : [الخير كثير و قليل فاعله] و قوله : [الناس كمعادن الذهب] وقوله : [نزلت المعونة على قدر المؤنة] و قوله : [إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه] و قوله : [أدب الأمانة إلى من ائتمنك و لا تخن من خانك] و قوله : [المؤمن غر كريم و الفاجر خب لئيم] و قوله : [الدنيا سجن المؤمن و بلاؤه و جنة الكافر و رجاؤه] .

من كلام الرسول الذي لا يشاكل فصاحة : .

و من كلامه الذي لا يشاكل في فصاحته قوله صلى الله عليه وسلم : [إياكم و المشاورة فإنها تمت الغرة و تحيي الفرة] و قوله : [لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنما و الصدقة مغرما] و قوله : [رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم] و قوله : [اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع و نفس لا تشبع و قلب لا يخشع و عين لا تدمع] وقوله : [هل يطمع أحدكم إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو الدجال فهو شر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى و أمر] وقوله : [ثلاث منجيات و ثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله تعالى في السر و العلانية و الاقتصاد في الغنى و الفقر و الحكم بالعدل في الرضا و الغضب و أما المهلكات فشح مطاع و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه] و قوله : [و تقبلوا لي بست أتعجب لكم الجنة قالوا : و ما هي يا رسول الله ؟ قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب و إذا وعد فلا يخلف و إذا ائتمن فلا يخن غضوا أبصاركم و احفظوا فروجكم و كفوا أيديكم] و قوله [في بعض خطبه : إلا أن الأيام تطوى و الأعمار تبنى و الأبدان في الثرى تبلى و إن الليل و النهار يتراكان تراكم البريد يقربان كل بعيد و يخلقان كل جديد و في ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات] و قوله [في بعض خطبه و قد خاف من أصحابه فطرة : أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب و كأن الحق فيها على غيرنا و جب و كأن الذي يشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون نبوئهم أجداثهم و نأكل تراثهم كأننا مخلصون بعدهم قد نسينا كل واعظة و أمنا كل جائحة طوبى لمن شغلته آخرته عن دنياه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس] و هذا يسير من كثير و لا يأتي عليه إحصاء و لا يبلغه استقصاء و غنما ذكرنا مثلا ليعلم أن كلامه جامع لشروط البلاغة و معرب عن

نهج الفصاحة و لو مزج بغيره لتمييز بأسلوبه و لظهر فيه آثار التنافر فلم يلتبس حقه من باطله و لبيان صدقه من كذبه هذا و لم يكن متعاطيا للبلاغة و لا مخالطا لأهلها من خطباء أو شعراء أو فصحاء و إنما هو من غرائز فطرته و بداية جبلته و ما ذاك إلا لغاية تراد و حادثة تشاد .

فإن قيل : إذا كان كلامه مخالفا غيره لكلام غيره في البلاغة و الفصاحة حتى لم يكن فيه مساجلا أ يكون له معجزا ؟ .

قيل له : لو كان هكذا و تحدى به صار معجزا و لا يكون مع عدم التحدي معجزا